الباب العاشر

المريـض

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: **أمور تتعلق بالمريض.**

الفصل الثاني: **ابشر أيها المريض.**

الفصل الثالث: **أيها الظالم عند الله تلتقي الخصوم.**

الفصل الرابع: **شبهات والرد عليها.**

الفصل الأول

أمور تتعلق بالمريض

أخي المصاب بالسحر أو مس الجن، تعرضك لسحر أو مس الجن ومرضك بسببها أو بسبب واحد منها، لا ينقص ذلك من شيء في وضعك بين أقربائك أو جيرانك، فلا تجعل ذلك سببًا في عزلتك عن الناس وابتعادك عن الطاعات فذلك ما يريده عدو الله. تعرض نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ لذلك المرض وصبر وعافاه ربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وتعرض له الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعافاه الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتعرضت له حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعافاها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعرض له عبد الله بن العاص وعافاه الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

أخي المريض، هذا المس أو السحر مرض قدره الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يصيب به أي عبد من عبيده ليس أحد كبير عليه ولا يقول: أنا لا أصاب بالجن ولا بالسحر، إذا أراد الله - عَزَّ وَجَلَّ - إصابتك سوف تصاب به، ولكن أخي المصاب بذلك المرض اللعين يجب عليك بعض الأمور حتى تخرج من تلك المحنة والمصيبة التي أنت فيها.

أولًا- اعلم علم اليقين أن لهذا الكون صانعًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لهذا الكون خالقًا ومدبرًا، ليس معه شريك في كونه وحكمه وتشريعه، لا يتحرك في هذا الكون شيء إلا بأمره، ويعلمه متى سكن وكيف سكن وهو الذي خلق المرض وخلق الدواء. وهو الذي خلقك وخلق جميع أعضاء جسدك من تلقاء نفسه، ولا يستطيع الإنس والجن بأكملهم أن يمرضوا عضوًا واحدًا من جسدك إلا إذا أراد الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وكذلك لا يستطيع ذلك العضو أن يتعافى من تلقاء نفسه أو

يعافيه أحد حتى لو اجتمع الإنس والجن على أن يعافوا ذلك الجسد فلن يستطيعوا إلا إذا شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

«وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس:١٠٧].

ثانيًا- أخي المريض، عليك أن تعلق قلبك بالله وتتوكل عليه في سائر أمورك ولا تسأل غير الله فاطلب منه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - العافية من ذلك البلاء وشفاءك من المرض، فهو سبحانه الشافي العافي عَزَّ وَجَلَّ، ولا تعلق قلبك بذلك المعالج فإن المعالج لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فإن استعنت به فاعلم أن المعالج ما هو إلا سبب قد سببه الله لك فقد يحصل على يديه الشفاء وقد لا يحصل وجميع الأسباب التي يستعملها المعالج ما هي إلا سبب فلا تعلق قلبك بها، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ».

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَالتَ فَلْتَسْال الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

ثالثًا- أخي المريض، عليك بتوبة لا تيأس من رحمة الله ولو وصلت ذنوبك عنان السماء بل يجب عليك أن تتوب إلى ربك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

بادر أخي بتوبتك إلى الله فإن التوبة بداية الخير واليسر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، ابْنَ آدَمَ إِنْ تَلْقَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تُذْنِبْ حَتَّى يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَسْتَغْفِرْنِي أَغْفِرْ لَكَ وَلَا أُبَالِي»[1].

قال الإمام النووي رحمه الله:

«قوله تعالى: «ثم استغفرتني غفرت لك»، هو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

والاستغفار لابد أن يكون مقرونًا بالتوبة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٣٨).

واعلم أن الاستغفار معناه طلب المغفرة وهو استغفار المذنبين وقد يكون عن تقصير في أداء الشكر وهو استغفار الأولياء والصالحين وقد لا يكون لا عن واحد منهما بل يكون شكرًا، وهو استغفاره ﷺ واستغفار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِالنِّعْمَةِ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ: إِنْ قَالَهَا بَعْدَمَا يُصْبِحُ مُوقِنًا بِهَا ثُمَّ مَاتَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ قَالَهَا بَعْدَمَا يُمْسِي مُوقِنًا بِهَا ثُمَّ مَاتَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

وقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه قل: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ».

قال الإمام ابن دقيق العبد: «في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرأفة والرحمة والامتنان ومثل هذه قوله ﷺ: «الله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالفَلَاةِ».

عن أبي أيوب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: كنت قد كتمت عنكم شيئًا سمعته يقول: «لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ الله خَلْقًا يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

قوله: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني» وهذا موافق لقوله: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» أن العبد إذا أذنب ثم ندم فقال: أي ربي أذنبت ذنبًا فاغفر لي ولا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: فيقول الله تعالى: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت له».

أي ربي! أذنبت ذنبًا فاغفر لي ولا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: فيقول الله تعالى: علم عبدي أن له ربًا يغفر ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت له ثم يفعل ذلك ثانية وثالثة فيقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - في كل مرة مثل ما سبق ثم يقول: اعمل ما شئت فقد غفرت لك» يعني لما أذنبت واستغفرت.

واعلم أن للتوبة ثلاثة شروط: الإقلاع عن المعصية، والندم على ما فات والعزم أن لا يعود، وإن كانت حق آدمي فليبادر بأداء الحق إليه والتحلل منه، وإن كانت بينه وبين الله تعالى وفيها كفارة فلابد من فعل الكفارة وهذا شرط رابع، فلو فعل الإنسان في هذا اليوم مرارًا وتاب بشروطها فإن الله يغفر له»[1] اهـ.

رابعًا- الدعاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ارشد - تبارك وتعالى - عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم فقال: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ قيل: معناه تذللًا واستكانة، واذكر ربك في نفسك، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ».

واعلم أخي المريض أن الدعاء له فضيلة عظيمة، عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ

(1) «الرياض الندية» صـ(١٣٦-١٣٧).

أَدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» وعن ابن عباس وأبي هريرة والنعمان بن بشير - رضي الله عنهم - قال رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء».

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيم، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِه إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا».

عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردُّ القَضاءَ إلا الدُّعاءُ، ولا يزيد في العُمُر إلا البرُّ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عليه».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ»، وللدعاء مواطن إجابة فاحرص أخي المريض على أن لا يفوتك تلك المواطن ومنها يوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الأسبوع خصوصًا آخر ساعة بعد العصر إذا بقي ينتظر صلاة المغرب وإذا كان قائمًا في الطواف بالكعبة والوقوف على الصفا والمروة وعند السعي بينهما في وقفة المزدلفة بعد صلاة الفجر يوم النحر، وبعد رمي الجمرتين الأولى والثانية، وفي أيام التشريق، وفي جوف الليل الأخير، وثلثه الأخير، وعامة الليل في الوتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان وفي العشر الأول من ذي الحجة، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود في الصلاة عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر، وعند نزول المطر، وفي السفر، وعند التقاء الجيوش في الجهاد في سبيل الله، وحال الصيام، وعند الإفطار، وفي أي وقت من ليل أو نهار تستيقظ فيه همته ويفتح عليه الدعاء.

واعلم أخي المريض حتى يستجاب دعاؤك عليك أن تحقق بعض الأمور ومنها الإخلاص لله - عَزَّ وَجَلَّ -، أن يشعر الإنسان حال دعائه بأنه في أمس الحاجة إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وأن يكون مطعمه حلالًا، وأن لا يستبطئ الدعاء يقول: دعوت ولم يُستجب لي.

كيف يدعو الإنسان ولم يستجب له؟ والله - عَزَّ وَجَلَّ - يقول: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجواب على هذا السؤال: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

ويقول السائل: إنه دعا الله - عَزَّ وَجَلَّ - ولم يستجب الله له فيستشكل هذا الواقع مع هذه الآية الكريمة التي وعد الله تعالى فيها من دعاه بأن يستجيب له والله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لا يخلف الميعاد.

والجواب على ذلك أن للإجابة شروطًا لابد أن تتحقق وهي:

الشرط الأول- الإخلاص لله - عَزَّ وَجَلَّ - بأن يخلص الإنسان في دعائه فيتجه إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بقلب حاضر صادق في اللجوء إليه، عالم بأنه - عَزَّ وَجَلَّ - قادر على إجابة الدعوة مؤمل الإجابة من الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

الشرط الثاني- أن يشعر الإنسان حال دعائه بأنه في أمس الحاجة بل في أمس الضرورة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن الله تعالى هو وحده الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. أما أن يدعو الله - عَزَّ وَجَلَّ - وهو يشعر بأنه مستغنٍ عن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وليس من الضرورة إليه وإنما يسأل هكذا عادة فقط فإن هذا ليس بحريٍّ بالإجابة.

الشرط الثالث- أن يكون متجنبًا لأكل الحرام فإن أكل الحرام حائل بين الإنسان والإجابة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَقَدْ غُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ»(١).

فاستبعد النبي ﷺ أن يستجاب لهذا الرجل الذي قام بالأسباب الظاهرة التي بها تستجلب الإجابة وهي:

أولًا- رفع اليدين إلى السماء أي: إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - لأنه تعالى في السماء فوق العرش ومد اليد إلى الله من أسباب الإجابة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»(٢).

ثانيًا- هذا الرجل دعا الله تعالى باسم الرب: يا رب يا رب والتوسل إلى الله تعالى بهذا الاسم من أسباب الإجابة لأن الرب هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور فبيده مقاليد السموات والأرض. ولهذا تجد أكثر الدعاء الوارد في القرآن

---

(1) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه أبو داود (١٤٨٨) والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، من حديث سليمان رضي الله عنه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٧).

الكريم بهذا الاسم ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ فالتوسل إلى الله تعالى بهذا الاسم من أسباب الإجابة.

ثالثًا- هذا الرجل كان مسافرًا والسفر غالبًا من أسباب الإجابة لأن الإنسان في السفر يشعر بالحاجة إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - والضرورة إليه أكثر مما إذا كان مقيمًا في أهله وأشعث أغبر كأنه غير معني بنفسه كأن أهم شيء عنده أن يلتجئ إلى الله ويدعوه على أي حال كان هو سواء كان أشعث أغبر أم مترفًا، والشعث والغبر له أثر في الإجابة كما في الحديث الذي روي عن النبي ﷺ أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة يباهي الملائكة بالواقفين أتوني «شعثًا غبرًا ضاحين من كل فج عميق»[1].

هذه الأسباب لإجابة الدعاء لم تجد شيئًا لكون مطعمه حرامًا وملبسه حرامًا وغذي بالحرام، قال النبي ﷺ: «فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟!» فهذه الشروط لإجابة الدعاء إذا لم تتوافر فإن الإجابة تبدو بعيدة فإذا توافرت ولم يستجب الله للداعي فإنما ذلك لحكمة يعلمها الله - عَزَّ وَجَلَّ - ولا يعلمها هذا الداعي فعسى أن تحبُّوا شيئًا وهو شر لكم، وإذا تمت هذه الشروط ولم يستجب الله - عَزَّ وَجَلَّ -

(1) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٠٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٦٢٧).

فإنه إما أن يدفع عنه من السوء ما هو أعظم وإما أن يدخرها له يوم القيامة فيوفيه الأجر أكثر وأكثر لأن هذا الداعي الذي دعا وتوافرت الشروط ولم يستجب له ولم يصرف عنه من السوء ما هو أعظم يكون قد فعل الأسباب ومنع الجواب لحكمة فيعطى الأجر مرتين، مرة على دعائه ومرة على مصيبته بعدم الإجابة فيدخر له عند الله - عَزَّ وَجَلَّ - ما هو أعظم وأكمل.

ثم إن المهم أيضًا أن لا يستبطئ الإنسان الإجابة فإن هذا من أسباب منع الإجابة أيضًا كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[1].

فلا ينبغي للإنسان أن يستبطئ الإجابة فيتحسر عن الدعاء ويدع الدعاء، بل يلح في الدعاء فإن كل دعوة تدعو بها الله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنها عبادة تقربك إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - وتزيدك أجرًا، فعليك يا أخي بدعاء الله - عَزَّ وَجَلَّ - في كل أمورك العامة والخاصة، الشديدة واليسيرة ولو لم يكن من الدعاء إلا أنه عبادة لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لكان جديرًا بالمرء أن يحرص عليه والله الموفق»[2] اهـ.

رابعًا- أخي المريض إذا زاد عليك المرض وأقعدك فلا تتهاون في عبادتك لله - عَزَّ وَجَلَّ - فإن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أعطاك بعض الرخص كي تتيسر لك الطهارة والصلاة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

---

(1) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) «فتاوى أركان الإسلام» لابن عثيمين صـ(٣٧-٤٠).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦].

وقال ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ»(١).

وقال ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

فإن لم تستطع الطهارة بالماء لعجزك أو خوف زيادة المرض أو تأخر برئه فإنه يجوز لك التيمم، وكيفية التيمم: أن تضرب الأرض الطاهرة بيديك ضربة واحدة ثم تمسح بها جميع وجهك ثم تمسح كفيك بعضها ببعض.

يجب عليك أخي المريض أن لا تؤخر صلاتك عن وقتها بل صلِّ على حالك قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبك، فإن لم تستطع فبعينيك المهم لا تترك الصلاة مهما فعل بك ذلك المرض.

(1) أخرجه البخاري (٣٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الفصل الثاني

أبشر أيها المريض

أخي المريض، إن من شأن هذه الحياة الدنيا التعب والمصائب والمكاره والهم والغم والمرض فإنها دار ابتلاء وامتحان أنزل إليها آدم عليه السلام عقوبة له لأنه عصى الله عَزَّ وَجَلَّ، ومنذ نزوله عليه السلام إلى هذا اليوم بل إلى قيام الساعة والناس في امتحان وكدر وتعب ومصائب لأنها سجن المؤمن وجنة الكافر، المؤمن فيها مبتلىً ممتحن ومصاب، ومن هنا يجب عليك أخي المريض أن تصبر ثم تبشر! أخي أنت أصبت وقدر لك الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن تصاب فقضاء الله نافذ إن صبرت أو لم تصبر ولكن تختلف الحالتان إن أنت صبرت سيكون هذا الابتلاء لك أجرًا وثوابًا وتكفيرًا لذنوبك ومعاصيك ويكون لك درجات بإذن الله في الجنة وقضاء الله نافذ، نافذ وأنت المستفيد، أما لو أنك لم تصبر على قضاء الله وعلى هذا الابتلاء سوف ينفذ قضاء الله وأنت الخاسر، خسرت الأجر والثواب لعدم صبرك ورضاك بقضاء الله ولك أخي هذه البشريات:

أولًا- سوف توفَّى أجرك يوم القيامة بغير حساب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ثانيًا- سوف تفوز بحب الله لك، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ثالثًا- سوف تكون من المفلحين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

رابعًا- سوف تحصل على المغفرة والأجر الكبير، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

خامسًا- سوف تفوز بمعية الله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

سادسًا- سوف تكون لك عقبى الدار جنات عدن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾

سابعًا- سوف تنال صلوات من ربك ورحمة وهداية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ، الله وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله، وَمَا أَجِدُ لَكُمْ رِزْقًا أَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُرِدْ الله بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا».

الفصل الثالث

أيها الظالم عند الله تلتقي الخصوم

الظلم في اللغة: مجاوزة الحد ومفارقة الحق أو هضمه وانتقاصه، وهو ضد العدل.

أما الظلم في الشرع: اسم لما أخذ بغير حق، والظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي.

الظلم ثلاثة أنواع:

أولًا- ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى مثل الكفر والشرك والنفاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ٣١].

وأصحاب هذا الظلم هم المقصودون في قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

ثانيًا- ظلم بين الناس وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢].

ثالثًا- ظلم الإنسان لنفسه، وهو المقصود من قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقول الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ [النمل: ٤٤].

وهذه الأنواع الثلاثة السابقة ما هي في حقيقتها إلا ظلم للنفس؛ لأن الإنسان الظالم إنما يظلم نفسه فحسب لأنه يعرضها لعذاب الله يوم القيامة.

حديثنا عن النوع الثاني من الظلم وهو ظلم الناس بعضهم لبعض، الظالمون

الذين نتحدث عنهم في هذا النوع هم ثلاثة: الأول: الساحر، والثاني: الجني الموكل بالسحر أو المتسلط من غير سحر، والثالث: الذاهب أو الذاهبة إلى الساحر كي يعمل لها سحر تؤذي به أحدًا من المسلمين فهؤلاء الثلاثة الويل لهم كل الويل كم ظلموا من المسلمين، كم خربوا من البيوت من ظلمهم، كما فتاة طلقت بسببهم، كم فتاة حرمت من الزواج بسببهم، كم من مسلم فقد حياته بسبب ظلم هؤلاء أيها الظلمة، لقد عثتم في الأرض الفساد لكن أيها الظلمة عند الله تلتقي الخصوم والكل سوف يأخذ حقه منكم يوم القيامة، الدنيا راحلة بما فيها، راحلة بفرحها وحزنها، راحلة رغم أنوفكم، راحلة وأنتم ستموتون، ونحن سنموت والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا، يوم القيامة سينادي الجبار سبحانه ويقول: «لا ظلم اليوم، لا ظلم اليوم».

الظلم من أعظم الذنوب وأقبح الرذائل، وقد حذر الله تعالى من الظلم فقال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورى: ٤٢].

وحذر منه الحبيب ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي، قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[(١)].

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجَلَّ أنه قال: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا»[(٢)].

قال الإمام النووي: «قوله عَزَّ وَجَلَّ: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»، أي: تقدست عنه، والظلم مستحيل في حق الله تعالى، قوله تعالى: «فَلاَ تَظَالَمُوا» أي: فلا يظلم بعضكم بعضًا»[(٣)] اهـ.

أما تخاف أيها الظالم من دعوة المظلوم؟! عندما بعث رسول الله ﷺ معاذ رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

---

(1) صحيح أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) جزء من حديث أبي ذر الغفاري: أخرجه مسلم في «الصحيح» (٤/ ١٩٩٤)، كتاب «البر» (٤٥) باب تحريم الظلم (١٥) الحديث (٥٥/ ٢٥٧٧).

(3) «شرح الأربعين النووية».

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم يرجع عقباه إلى الندمِ

تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

عن جابر قال: «لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ» قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ التَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ الله الكُرْسِيَّ وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتْ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا، قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «صَدَقَتْ صَدَقَتْ! كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ»[1].

إذا ما الظلوم استوضأ الظلم مركبًا ولج عتوًا في قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الزمان وعدله سيبدو له ما لم يكن في حسابه

وعن عبد الله بن سلام قال: «إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه».

(1) «شرح الأربعين النووية».

وعن وهب بن منبه قال: «بنى جبار من الجبابرة قصرًا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخًا تأوي إليه، فركب الجبار يومًا وطاف حول القصر فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟ فقيل: لامرأة فقيرة تأوي إليه فأمر به فهدم، فجاءت العجوز فرأته مهدومًا فقالت: مَن هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت: يا رب إذا لم أكن حاضرة فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه».

كتب الشاعر أبو العتاهية إلى الرشيد عندما حبسه:

أمـــا والله إن الظلـــم شـــؤم ... ومـــا زال المـــسيء هـــو الظلـــوم

ســـتعلم يـــا ظلـــوم إذا التقينـــا ... غـــدًا عنـــد المليـــك مـــن الملـــوم

وكان يزيد بن حكيم يقول: «ما هبت أحدًا قط هيبتي رجلًا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لي: حسبي الله، الله بيني وبينك».

وفي رواية: أن دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين[1]»[2].

ما حجتك أيها الظالم يوم القيامة وأنت بين يدي الله واقف ماذا ستقول له؟ والعدل - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لا يظلم أحدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧].

(1) صحيح: «صحيح سنن ابن ماجه» (١٤٣٢)، و«الصحيحة» (٥٩٦، ١٧٩٧).

(2) «الكبائر للذهبي» تحقيق/ سعد يوسف أبو عزيز.

وأنت أيضًا أيها الظالم عاقبتك وخيمة يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

أيها الظالم يوم القيامة سوف تعض على يديك من الندم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧].

أيها الظالم ماذا ستقول لربك يوم القيامة عندما يأتيك الذي تسببت في قتله ويقول: يا رب سَلْ هذا لم قتلني؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«حياؤها ألا يقتل نفسًا حرَّمها الله، فذلك الذي أحيا الناس جميعًا. يعني: أنه من حرَّم قتلها إلا بحق حيي الناس منه. وهكذا قال مجاهد: «ومن أحياها» أي: كف عن قتلها. وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: «فكأنما قتل الناس جميعًا» يقول: «من قتل نفسًا واحدة حرمها الله فهو مثل من قتل الناس جميعًا، ومن استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعًا» وكم من مسلم قضى نحبه بسبب السحر ومس الجن وما خفي كان أعظم والله حسبي ونعم الوكيل»[1].

(1) «تفسير ابن كثير».

الفصل الرابع

شبهات والرد عليها

أولًا- قال أحد الدعاة: إذا عرفك الناس اترك الرقية أي إذا اشتهرت بين الناس اترك الرقية، حتى لا يعتقد فيك الناس. ونفس الشبهة لكن بطريقة أخرى معظم الإخوة لا يرقون الناس ويقول: أخاف أن يعتقد الناس أني أشفي.

قلت: والرد على تلك الشبهة: قال الفضيل بن عياض: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما».

قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«معنى كلام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراها الناس فهو مراءٍ لأنه ترك العمل لأجل الناس»[1] اهـ.

إذًا لترك عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ علاج الناس حتى لا يعتقد فيه أحد، كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله.

روى أبو بكر الباغندي عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لقي عيسى بن مريم إبليس فقال له إبليس: أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبيًا ولم يتكلم أحد من قبلك.

قال: بل الربوبية والعظمة لله الذي أنطقني ثم يميتني ثم يحييني.

قال: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى؟

(1) «الرياض الندية في شرح الأربعين النووية».

قال: بل الربوبية لله الذي يميتني ويميت من أحييت ثم يحييني.

قال له إبليس: والله إنك لإلـه مـن في السماء وإلـه مـن في الأرض، فصكَّه جبريل بجناحه فما تناهى دون قرن الشمس[1].

وهذا الغلام الذي في قصة أصحاب الأخدود كان ذلك الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء – أي: الأمراض – وما ترك ذلك الغلام علاج الناس، بل ظل يجاهد في سبيل الله يعالج الناس ويدعوهم إلى الإيمان بالله، وعندما سمع به جليس الملك وكان قد عمي قدم للغلام هدايا كثيرة وقال: كل هذه الهدايا لك إن أنت شفيتني، قال له الغلام المخلص الصادق في عمله ودعوته الذي لا يسمع لكلام الناس وتثبيطاتهم: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فيؤمن الأعمى فيشفيه الله تعالى[2].

جاء إليَّ بعض المرضى وقال: يا أخي إنني لست معتقدًا فيك ولا في أحد الشافي هو الله قلت له: ما بك؟ قال: كلما ذهبت إلى أخ أطلب منه رقية يقول لي: لا، أخاف من الاعتقاد ثم يقول لي: اذهب إلى الأخ فلان يعني أنا، قلت له: سبحان الله يخاف على نفسه من الاعتقاد ولا يخاف عليّ.

وأنتم السبب في ذلك لو أن كل مسلم يرقي أهل بيته ومحارمه والكل يرقي بعضه بعضًا ما كان أحد اعتقد في أحد.

---

(1) «آكام المرجان» (٢١٣) نقلًا عن كتاب «وقاية الإنسان» صـ(١٢٨).

(2) أصل القصة عند مسلم (٤/ ٣٠٠٥).

ثانيًا- قول أحد الدعاة: إن الحديث مع الجان يسبب مفاسد توجب غلق بابها، حتى وإن كانت شرعية وذلك درءًا للمفاسد وسدًا لذرائع الشرك، يغلق هذا الباب هكذا، هذا لم يقل به أحد ولماذا ذكرت المفاسد وتركت المصالح، والمصلحة هنا أولى لأنها مصلحة المريض، والحديث مع الجن فيه مصلحتان: المصلحة الأولى مصلحة المريض حتى أعرف مكان السحر الخارجي كيف أعرف مكان السحر الخارجي إن لم أتحدث مع الجن وإن لم أُخرِج ذلك السحر فلا يتعافى المريض أبدًا.

والمصلحة الثانية: مصلحة الجن والمعالج أما مصلحة الجن أن أدعوه للإسلام وأكون سببًا في إنقاذه من الخلود في النار.

ومصلحة المعالج: أجر ذلك الجن الذي أسلم على يديه.

وعلى المعالج حتى يغلق باب المفاسد فقط وليس كل الباب – أي: باب الحديث مع الجن – عليه أن لا يكثر الحديث مع الجن يعرف منه أين مكان السحر ثم يدعوه إلى الإسلام إن كان كافرًا أو يدعوه إلى التوبة إن كان مسلمًا.

ولا يتحدث معه عن من فعل السحر أو تلك الأسئلة التي لا فائدة منها.

ثالثًا- قول البعض لا أقرأ على النساء خوفًا من الفتنة.

قلت: وقولك مثل قول الذين قالوا: لا نستطيع أن نغزو الروم لأننا لا طاقة لنا ببنات بني الأصفر أي نخاف على أنفسنا أن تفتنا بنات النصارى فنزل فيهم قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾.

خذ بالأسباب الشرعية وتوكل على الله، اجعل المريضة ترتدي الحجاب الشرعي وأنت غض بصرك، واجعل معك محرمًا لها، من أين تأتيك الفتنة؟! لكنها حجج والله المستعان.

رابعًا- قول البعض: إن المعالجين يعالجون النساء ثم يتزوجونهن وهذه الفعلة لا يفعلها إلا الشيعة، هكذا قيلت لي.

والله لا أدري من أين جاء بهذا الاتهام لهؤلاء المعالجين، وهل هؤلاء المعالجون الذي ينتسبون لسنة الحبيب ﷺ مثل الشيعة سبحانك هذا بهتان عظيم، ثم قل لي أنت يا من ألقيت تلك الشبهة على إثر أنك لا تساعد المرضى: لا تريد أي أحد يساعدهم أو يدخل عليهم سرورًا، والمعالج لا يتزوج كل فتاة يقرأ عليها، لا يتزوج إلا التي تحتاج أن يقف معها ذلك المعالج، وهل زواج المعالج المسلم التقي العفيف الملتزم بسنة النبي ﷺ منها خير أم تترك لذلك الجن يتزوجها ويستحل عرضها.

وهذه الأخت التي بها الجن العاشق تعاني معاناة هي وأسرتها لكن لا يعرف تلك المعاناة إلا المعالج أو الأسرة التي عاشت هذه المحنة.

ثم قل لي: ما المانع أن يتزوجها ذلك المعالج إن كان ذلك المعالج يريد أن يساعد تلك الأسرة وتلك الفتاة.

قل لي: ما المانع إن كان ذلك المعالج سوف يعطيها الحنان والحماية من ذلك الجن المعتدي، ما المانع إن كان ذلك المعالج سيعطيها كل حقوقها من الصداق والعدل بينها وبين زوجته الأخرى، بل الواجب على الإخوة الذي ينتسبون في ظاهرهم إلى السنة أن يتزوجوا تلك الفتيات، فتيات كثيرة حرمت من الزواج إما

لسبب جن عاشق أو لسبب عاهة في تلك الفتاة، أين التضحية؟ لا تريدون أن تضحوا بأي شيء لا جهاد ولا علاج ولا تتزوجوا النساء صاحبات الأعذار، ولا تريدون المعالجين أيضًا أن يتزوجوا المريضات، ماذا أقول لكم؟ اسأل الله أن يهديكم أو يريح الأمة الإسلامية من أمثالكم.

سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هل الأصل في الزواج التعدد أم الواحدة؟

قال: «الأصل في ذلك شريعة التعدد لمن استطاع ذلك ولم يخف الجور؛ لما في ذلك من المصالح الكثيرة في عفة من يتزوجهن والإحسان إليهن وتكثير النسل الذي به تكثر الأمة ويكثر من يعبد الله وحده ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

ولأنه ﷺ تزوج بأكثر من واحدة، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال ﷺ لما قال بعض الصحابة: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأصلي ولا أنام، وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء فلما بلغ ذلك النبي ﷺ خطب الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

وهذا اللفظ العظيم منه ﷺ يضم الواحدة والعدد والله ولي التوفيق»[1] اهـ.

وعليك أخي المعالج إن تزوجت وعدَّدت أن تتقي الله في زوجاتك وتعدل بينهن ولا تقول: لا أستطيع العدل، لقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾.

أخي الكريم، هذه الآية تتكلم عن الميل القلبي، كان رسول الله ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها أكثر من غيرها، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، وقد كان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ»، أي: فلا تلمني في الحب الذي في قلبي فإنه ليس بيدي.

والعدل الواجب عليك هو في النفقة والمعاملة والمعاشرة وسائر الأعمال الظاهرة بحيث لا تؤثر إحداهن على الأخرى بشيء ظاهر.

وقد أكثر ﷺ من الزوجات وعدَّد الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من أهل العلم وممن عدَّد النساء الحسين، وابن عمر رضي الله عنهما وغيرهما كثير فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه يعرض ابنته حفصة على أبي بكر الصديق مع أن عنده امرأة تدعى أم رومان ولم تكن زوجة أبي بكر مريضة ولا عاقرًا.

---

(1) نقلًا من «كتاب فضل تعدد الزوجات» صـ(٢٥-٢٧).

ولا يحق للأنثى والذكر الاعتراض على مشروعية التعدد فذلك اعتراض على المشرع الخالق الواحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾.

وهل هناك خير من ذلك الشاب الملتزم لاسيما المعالجين الذين يعالجون الناس من غير طمع فيما عندهم من مال ولا شيء، هل هناك خير من ذلك الشباب تأمنه على ابنتك، قال ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[1]، ولم يفرق ﷺ بين المتزوج وغير المتزوج، المهم الدين والخلق ولما سئل أحد السلف عمن يزوج ابنته قال: «أزوجها صاحب الدين، إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»[2].

(1) رواه الترمذي وابن ماجه، حسن لغيره «الإرواء» (١٨٦٨).

(2) «فضل تعدد الزوجات» صـ(٥٨-٥٩).

خاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله سبحانه وأسأله أن يجعله خالصًا لوجهه وأن ينفع به المسلمين جميعًا لاسيما المعالجين المجاهدين.

وأن لا يفهم أني حصرت الجهاد كله في هذا الباب بل هو فرع واحد من الجهاد ففروع الجهاد عديدة، وأن يكون سببًا في تغيير بعض أفكار إخواني الذين أخذوا فكرة خاطئة عن هذا الباب العظيم المليء بالخير، فيه الجهاد والدعوة والبر والصلة وعيادة المرضى وإدخال السرور على المسلمين وتفريج الكربات على المسلمين ولكن بشرط أن يستغل هذا الباب استغلالًا صحيحًا ولا يبتغي من يجاهد فيه غير وجه الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

ثم إني لم أتحدث في بحثي هذا عن عين الحاسد لأن العين تقع من أي إنسان حبيب أو عدو أو قريب أو بعيد فالعين حق كما قال ﷺ ولا يشترط في العين أن تكون حربًا مثل السحر.

كما أتمنى من الدعاة والخطباء والعلماء أن يحثوا المسلمين لاسيما المتمسكين بهذا الدين العظيم وسنة الحبيب ﷺ على أن يجاهدوا في هذا الثغر الخالي من المجاهدين الصادقين.

كما أحث إخواني أن لا يمنعوا الناس من هذا الخير الذي في الرقية، والنفع بإذن الله مثل القراءة على الماء أو الزيت أو السنامكي أو أي تجربة لا يكون فيها شرك.

تَمَّت كِتَابَتُهُ بعوْنِ الله وَحَوْلِهِ
وَتَمَّ خَتْمُه بِحَمْدِ الله

المراجع

(١) القرآن الكريم.
(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، دار الحديث.
(٣) الطب النبوي، ابن القيم الجوزية، دار العقيدة.
(٤) شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، دار ابن الجوزي.
(٥) الكبائر، للذهبي، دار الفجر للتراث.
(٦) الوسواس القهري، د/ محمد شريف سالم، دار العقيدة.
(٧) كيف تعالج مريضك بالرقية الشرعية، دراسة شرعية تأصيلية مع قصص واقعية، د/ عبد الله بن محمد السدحان.
(٨) كتاب التوحيد، د/ صالح بن فوزان الفوزان، دار الطباعة والنشر الإسلامية.
(٩) قصص الأنبياء، ابن كثير، مكتبة مصر.
(١٠) زبدة التفسير، محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة.
(١١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار الحديث.
(١٢) فتاوى أركان الإسلام، العثيمين، دار المنهاج.
(١٣) وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي، دار البشير.
(١٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مكتبة التراث.

(١٥) التبيان شرح نواقض الإسلام، للإمام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق سليمان بن ناصر العلوان، دار المسلم.

(١٦) حصن التوحيد، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، دار القاسم.

(١٧) لحوم العلماء مسمومة، د/ ناصر بن سليمان العمر، دار الصفوة.

(١٨) ولكن كونوا ربانيين، سلمان بن فهد العودة، دار الإيمان.

(١٩) الحب في الله وحقوق الأخوة، أحمد فريد، مكتبة الإيمان القاهرة.

(٢٠) جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق د/ محمد الأحمدي أبو النور، مطبعة نهضة مصر.

(٢١) الرياض الندية في شرح الأربعين النووية، تحقيق محمد بن حامد بن عبد الوهاب، دار الآثار، صنعاء، دار البصيرة الإسكندرية.

(٢٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية.

(٢٣) الصرع أسبابه وعلاجه، سعيد عبد العظيم، دار الإيمان الإسكندرية.

(٢٤) الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة، د/ السيد محمد نوح، دار البشير للثقافة الإسلامية.

(٢٥) رسالة أدعية القرآن الكريم والسنة الصحيحة، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار الإيمان الإسكندرية.

(٢٦) أكثر من ١٠٠٠ جواب للمرأة، خالد الحسينان، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية.

(٢٧) فتاوى مهمة تتعلق بالعقيدة، لابن باز، مطابع الحميض الرياض.
(٢٨) فضل تعدد الزوجات، أبو عبد الرحمن، مكتبة السنة.
(٢٩) العلاج النفسي والعلاج بالقرآن «رؤية طبية نفسية شرعية»، د/ طارق بن الحبيب، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع / مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع بالقاهرة.
(٣٠) رياض الصالحين للنووي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق وراجعه شعيب الأرنؤوط، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان.
(٣١) عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفاس، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
(٣٢) حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها، عبد العزيز بن باز، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٤١٤ هـ.
(٣٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار السلام الرياض، دار الفيحاء بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
(٣٤) السلسلة الصحيحة، الألباني، المكتب الإسلامي.
(٣٥) سنن أبي داود، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.
(٣٦) صحيح الإمام مسلم، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
(٣٧) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى.

(٣٨) صحيح سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، دار الفكر.
(٣٩) المغني، ابن قدامة المقدسي، دار الفكر.
(٤٠) الصحيح مع الفتح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر.
(٤١) الصحيح مع شرح النووي، مسلم بن حجاج، مكتبة زهران.
(٤٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د/ مصطفى ديب البغاء، دار ابن كثير اليمامة للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة.
(٤٣) الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، وحيد عبد السلام بالي دار ابن الهيثم، القاهرة، الطبعة الأولى.
(٤٤) سبعة يظلهم الله في ظله.